MESR
منار الشرق للدراسات والأبحاث
Manar Elsharq for Studies & Research
Middle East Journal
of Educational and Psychological Sciences
Homepage:
http://meijournals.com/ar/index.php/mejeps/index
مجلة الشرق الأوسط
للعلوم التربوية والنفسية
ISSN 2789-1828

الشيخة والمرأة العكارية: الحلقات الدينية النسائية بين الفضيلة والطاعة والفاعلية الاجتماعية دراسة ميدانية حول الحلقات الدينية وتجربة النساء السنيات في منطقة حلبا – عكار

The Female Religious Guide and Women in Akkar: Women's Religious Circles Between Virtue, Obedience, and Social Agency

A Field Study of Women's Religious Circles and the Experiences of Sunni Women in Halba, Akkar

حبيبة عيتاني

Habiba Aitani

باحثة دكتوراه في علم الاجتماع، كليّة الآداب والعلوم الانسانية في جامعة القديس يوسف في بيروت

Doctoral Researcher in Sociology, Faculty of Arts and Humanities, Saint Joseph University of Beirut

habibaitani@hotmail.com

استلام البحث: 10/06/2026 مراجعة البحث: 13/07/2026 قبول البحث: 04/08/2026

الملخص:

تتناول هذه الدراسة ظاهرة الحلقات الدينية النسائية في منطقة حلبا – عكّار بوصفها فضاءً دينياً واجتماعياً غير رسمي، تتقاطع فيه المعرفة الدينية مع منظومة القيم المحلية والضبط الأسري وتمثلات الجندر. تنطلق الدراسة من سؤال مركزي مفاده: كيف تؤثر الحلقات الدينية التي تقودها الشيخات في تشكيل مكانة المرأة وتنظيم حياتها الاجتماعية داخل مجتمع محافظ ذي بنية أبوية واضحة؟ اعتمد البحث مقاربة سوسيولوجية مختلطة تجمع بين المعطيات الكمية والنوعية؛ فقد استند إلى استمارة وُجهت إلى 250 امرأة من المشاركات في الحلقات الدينية، وإلى استمارة أخرى شملت 100 رجل من محيطهن العائلي والاجتماعي، إضافة إلى مقابلات معمقة مع الشيخات وبعض المشاركات، وملاحظات ميدانية داخل عدد من الحلقات. بينت النتائج أن الحلقات ترفع مستوى الالتزام الديني لدى النساء وتنتج أشكالاً من التضامن والانتماء والشبكات الاجتماعية، لكنها في الوقت نفسه تعيد إنتاج بعض أنماط الطاعة الزوجية، والصبر، والتمثل التقليدي لأدوار المرأة داخل الأسرة. كما تكشف الدراسة عن موقع مركزي للشيخة بوصفها فاعلة تمتلك رأس

مال رمزياً ودينياً، وعن علاقة ملتبسة بين الحلقات الدينية والمجال المدني. وتخلص الدراسة إلى أن هذه الحلقات ليست مجرد فضاءات للوعظ ولا مجرد أدوات إخضاع، بل مجال اجتماعي مركب يتيح للنساء قدراً من الحضور والفاعلية ضمن حدود ثقافية ودينية واجتماعية محددة.

الكلمات المفتاحية: الحلقات الدينية النسائية؛ الجندر ؛ الدين والمجتمع؛ الشيخة؛ عكار ؛ العنف الرمزي؛ البطريركية.

Abstract

This article examines women's religious circles in Halba-Akkar as informal religious and social spaces where religious knowledge intersects with local values, family regulation, and gender representations. It asks how female-led religious circles shape women's status and organize their social life within a conservative, patriarchal community. The study adopts a mixed sociological approach based on questionnaires administered to 250 women participating in religious circles and 100 men from their familial and social environment, supported by in-depth interviews with female religious guides and participants, as well as field observations. The findings show that these circles strengthen women's religious commitment and create forms of solidarity, belonging, and social networks. At the same time, they reproduce certain patterns of marital obedience, patience, sacrifice, and traditional gender roles. The article also highlights the central role of the female religious guide as a holder of symbolic and religious capital, and points to an ambivalent relationship between religious circles and civil society. The study concludes that such circles should not be reduced either to spaces of empowerment or to instruments of subordination; rather, they are complex social fields that grant women limited agency within specific cultural, religious, and social boundaries.

Keywords: women's religious circles; gender; religion and society; female religious guide; Akkar; symbolic violence; patriarchy.

1-المقدمة

لم تعد دراسة الدين في المجتمعات المحلية ممكنة من زاوية النصوص أو العقائد وحدها، إذ إن الدين عندما يتحول إلى ممارسة يومية يغدو جزءاً من بنية العلاقات الاجتماعية، ومنظومة القيم، وآليات التنشئة الاجتماعية والضبط والاعتراف داخل المجتمع. ومن هذا المنظور، لا يُفهم الدين بوصفه نسقاً عقدياً فحسب، بل بوصفه مؤسسة اجتماعية تسهم في إنتاج المعاني، وتنظيم السلوك، وإضفاء الشرعية على الأدوار والعلاقات الاجتماعية (دوركايم، 2003؛ غيدنز، 2005). كما أن القيم الدينية تؤثر في أنماط الحياة اليومية وفي تشكيل الممارسات الاجتماعية، بحيث تصبح جزءاً من الطريقة التي يفهم بها الأفراد واجباتهم وأدوارهم داخل الأسرة والمجتمع، وهو ما أشار إليه ويبر في تحليله للعلاقة بين الدين والسلوك الاجتماعي (ويبر، 2002).

وفي هذا السياق، تكتسب الفضاءات الدينية غير الرسمية أهمية خاصة؛ لأنها لا تقتصر على نقل المعرفة الدينية، بل تؤدي دوراً في إعادة إنتاج المعايير الاجتماعية والثقافية، وإعادة رسم الحدود بين المجالين الخاص والعام، وبين المقبول والمرفوض اجتماعياً، كما تسهم في تشكيل التصورات المتعلقة بأدوار المرأة ومكانتها داخل المجتمع. وتصبح هذه الفضاءات مواقع لإنتاج السلطة

الرمزية التي تستمد مشروعيتها من الاعتراف الاجتماعي والديني، بما يجعلها مؤثرة في تشكيل القناعات والممارسات اليومية للأفراد (بورديو، 1998).

وتأتي منطقة حلبا–عكار نموذجاً دالاً لهذه العلاقة المركبة بين الدين والمجتمع والجندر، فهي منطقة ذات طابع ريفي وشبه حضري، تتسم بحضور قوي للانتماء الديني والعائلي، وبشبكة من العلاقات المحلية التي تجعل المجتمع مراقباً ومشاركاً في آن واحد. وفي هذا السياق برزت الحلقات الدينية النسائية التي تقودها الشيخات بوصفها ظاهرة اجتماعية متنامية تستقطب نساءً من فئات عمرية واجتماعية مختلفة، وتوفر لهن مساحة للتعلم، واللقاء، وبناء شبكات الدعم الاجتماعي، وفي الوقت نفسه تقدم منظومة من القيم والمعايير التي تنظم علاقة المرأة بذاتها، وبأسرتها، وبمجتمعها المحلي.

وتنبع أهمية هذه الظاهرة من أنها تقع في منطقة وسطى بين التمكين الاجتماعي والضبط الثقافي. فمن جهة، تمنح الحلقات الدينية النساء فرصة للخروج من العزلة المنزلية، وتوسيع شبكات التواصل الاجتماعي، واكتساب معرفة دينية ولغة أخلاقية تساعدهن على تفسير تجاربهن اليومية، وهو ما يتقاطع مع ما تشير إليه الأدبيات حول دور الفضاءات الدينية في بناء رأس المال الاجتماعي وتعزيز الإحساس بالانتماء (دوركايم، 2003). ومن جهة أخرى، قد تسهم المضامين المطروحة داخل هذه الحلقات في إعادة إنتاج بعض التصورات التقليدية المتعلقة بالطاعة الزوجية، وأولوية الدور الأسري، وقيم الصبر والتضحية، بما يعكس استمرار تأثير البنى الأبوية في تشكيل العلاقات الجندرية.(Ahmed, 1992; Connell, 1987; Walby, 1990)

وانطلاقاً من ذلك، لا يتبنى هذا المقال حكماً معيارياً مسبقاً على الحلقات الدينية النسائية، ولا ينظر إليها بوصفها فضاءً للتحرر المطلق أو أداةً للإخضاع الكامل، وإنما يسعى إلى تحليلها سوسيولوجياً باعتبارها حقلاً اجتماعياً تتقاطع داخله السلطة الرمزية، والمعرفة الدينية، والتمثلات الجندرية، والمكانة المحلية للشيخة، وتوقعات الأسرة، وحدود مشاركة النساء في المجال العام. والغاية هي فهم الآليات التي تجعل الدين يعمل في حياة النساء اليومية، ليس باعتباره منظومة اعتقادية مجردة، وإنما باعتباره خطاباً وممارسة ومؤسسة اجتماعية تسهم في تشكيل الفاعلية الاجتماعية وإعادة إنتاج النظام الثقافي في آن واحد (بورديو، 1998؛ غيدنز، 2005).

2- إشكالية الدراسة وأسئلتها

تتمحور إشكالية هذه الدراسة حول العلاقة بين الخطاب الديني النسائي ومكانة المرأة في المجتمع المحلي، انطلاقاً من أن الحلقات الدينية لا تمثل مجرد فضاءات لتلقي المعرفة الشرعية، بل تعد حقولاً اجتماعية يجري داخلها إنتاج المعاني والقيم وإعادة تشكيل العلاقات الاجتماعية والتمثلات الجندرية. فالنساء المشاركات في هذه الحلقات لا يدخلن إلى فضاء محايد، وإنما إلى مجال تحكمه مجموعة من العوامل المتداخلة، من أبرزها سلطة الشيخة، وهوية المسجد أو الجماعة الدينية، وتوقعات الأسرة، وشبكات القرابة، والإرث الثقافي الذي يربط مكانة المرأة بأدوارها التقليدية في الطاعة والرعاية والحياء وحفظ السمعة. ومن ثم فإن دراسة

أثر هذه الحلقات لا تنفصل عن دراسة الكيفية التي يُعاد بها إنتاج الدين اجتماعياً من خلال فاعلين محليين يمنحون النصوص الدينية تأويلات تتداخل مع الثقافة المحلية والعلاقات الاجتماعية السائدة (بورديو، 1998؛ دوركايم، 2003؛ ويبر، 2002).

وتتجاوز الإشكالية سؤال التدين في حد ذاته إلى التساؤل حول طبيعة العلاقة بين الدين والجندر في البيئات المحافظة، وما إذا كانت الحلقات الدينية النسائية تشكل فضاءات لتعزيز الفاعلية الاجتماعية للمرأة وبناء رأس مال اجتماعي ورمزي جديد، أم أنها تعمل – في الوقت نفسه – على إعادة إنتاج بعض أشكال الهيمنة الرمزية والبنى الأبوية من خلال ترسيخ أدوار اجتماعية تقليدية تمنح الشرعية للطاعة والتضحية أكثر مما تمنحها للاستقلالية والمشاركة العامة (Ahmed, 1992; Connell, 1987; Walby, 1990).

وانطلاقاً من ذلك، يتمثل السؤال الرئيس للدراسة في:

كيف تؤثر الحلقات الدينية النسائية في منطقة حلبا–عكار في مكانة المرأة وتنظيم حياتها الاجتماعية، وفي تشكيل تصوراتها عن دورها داخل الأسرة والمجتمع؟

ويتفرع عن هذا السؤال الرئيس عدد من الأسئلة الفرعية، هي:

- ما طبيعة المضامين الدينية والاجتماعية التي تقدمها الشيخات داخل الحلقات الدينية؟
- كيف تتشكل سلطة الشيخة بوصفها مرجعية دينية واجتماعية ورمزاً للشرعية داخل المجتمع المحلي؟
- إلى أي مدى تسهم الحلقات الدينية في بناء رأس المال الاجتماعي وتعزيز شبكات الدعم والتفاعل الاجتماعي بين النساء؟
- هل تفتح هذه الحلقات أمام النساء فرصاً للمشاركة الاجتماعية والمدنية، أم أنها تعيد إنتاج أنماط الضبط الجندري والهيمنة الرمزية؟
- كيف يتقاطع أثر الحلقات الدينية مع مواقف الرجال، ومع حضور الجمعيات المدنية والأنشطة التوعوية في المجتمع المحلي؟

ولا تفترض الدراسة وجود علاقة أحادية أو خطية بين الحلقات الدينية ومكانة المرأة، بل تنطلق من افتراض أن هذه الحلقات تمارس أدواراً متداخلة ومتباينة في آن واحد. فهي قد تعزز الالتزام الديني، وتمنح النساء شبكات دعم اجتماعي وإحساساً بالانتماء، وتسهم في بناء رأس مال اجتماعي ورمزي، لكنها لا تؤدي بالضرورة إلى تفكيك البنى الأبوية، وإنما قد تعمل في كثير من الأحيان داخلها ومن خلالها. كما تشير المعطيات الميدانية إلى أن النساء ينظرن إلى الحلقات بوصفها مصدراً للراحة النفسية، والدعم الاجتماعي، والفهم الصحيح للدين، في حين يكشف تحليل الخطاب الديني عن حضور قيم الصبر والواجب والطاعة بوصفها مداخل رئيسة لتفسير عدد من القضايا الاجتماعية والأسرية.

وتنطلق الدراسة من فرضية مركزية مفادها أن المضامين المطروحة في الحلقات الدينية النسائية تؤثر في تشكيل الواقع الاجتماعي والثقافي للمرأة العكارية، وأن حجم هذا التأثير يرتبط بطبيعة الخطاب الديني المقدم، والدوافع التي تحرك النساء للمشاركة، والهوية الرمزية للشيخة، والبنية الثقافية والاجتماعية التي تنظم علاقة المرأة بالأسرة والمجتمع. وينبثق عن هذه الفرضية عدد من الفرضيات

الفرعية التي تتناول دور الخطاب الديني في تشكيل المنظومة الفكرية والقيمية للنساء، وعلاقته بالمشاركة المدنية والاجتماعية، ومدى قدرته على إعادة إنتاج الهيمنة الذكورية أو الحد منها من خلال آليات السلطة الرمزية وإعادة تشكيل المعاني الاجتماعية)بورديو، 1998؛.(Walby, 1990

3-أهمية الدراسة وأهدافها

تتمثل الأهمية العلمية للدراسة في أنها تتناول موضوعاً قليل الحضور في الأدبيات السوسيولوجية العربية، وهو الحلقات الدينية النسائية التي تقودها الشيخات في بيئات محلية محافظة. فغالباً ما تتركز الدراسات على المؤسسات الدينية الرسمية أو على الخطاب الذكوري في المساجد، بينما تبقى الفضاءات النسائية غير الرسمية خارج دائرة التحليل، رغم أنها تمارس تأثيراً مباشراً في الحياة اليومية للنساء، وفي التنشئة الأسرية، وفي إدراكهن للحقوق والواجبات والأدوار الاجتماعية.

كما تكتسب الدراسة أهميتها من خصوصية منطقة عكار، وهي منطقة لا تحظى غالباً بما يكفي من البحث الميداني المقارن، على الرغم من كونها مساحة غنية بالتنوع الديني والاجتماعي، وبالتوتر بين التهميش الاقتصادي والمحافظة الثقافية. إن دراسة الحلقات الدينية في هذا السياق لا تفيد فقط في فهم النساء المشاركات فيها، بل تكشف أيضاً عن آليات اشتغال الدين في المجتمعات الطرفية، وعن الطريقة التي يتحول بها الخطاب الديني إلى وسيلة للتكيّف مع الأزمات أو إلى أداة لإعادة ترتيب العلاقات الجندرية.

تهدف الدراسة إلى الكشف عن منطلقات الحلقات الدينية النسائية، وعن نوع المعرفة التي تقدمها، وعن الآليات التي تستخدمها الشيخات في إنتاج الثقة والقبول .كما تهدف إلى تحليل أثر هذه الحلقات في الالتزام الديني، وفي بناء العلاقات الاجتماعية بين النساء، وفي تشكل التصورات الجندرية المتعلقة بالطاعة، والعمل، والحجاب، والزواج، والعنف الأسري، والمشاركة المدنية والسياسية.

وتسعى الدراسة كذلك إلى تقديم قراءة متوازنة لا تختزل الدين في كونه مصدراً للقمع، ولا تنفي في الوقت نفسه إمكان توظيفه في إعادة إنتاج الهيمنة .فالهدف هو فهم الدين في سياقه الاجتماعي، أي بوصفه ممارسة تتشكل عبر التأويل، وعبر العلاقات المحلية، وعبر المؤسسات الصغيرة التي تعمل خارج الرسمية، لكنها تؤثر في حياة النساء بعمق.

4- الإطار النظري: الدين والجندر والسلطة الرمزية

يعتمد هذا المقال على إطار نظري متعدد المستويات يجمع بين سوسيولوجيا الدين، ونظريات الجندر، ومفاهيم الحقل والرأسمال الرمزي والعنف الرمزي، انطلاقاً من أن الحلقات الدينية النسائية لا تمثل فضاءات تعليمية فحسب، بل تعد مؤسسات اجتماعية غير رسمية تُنتج المعاني، وتعيد تشكيل العلاقات الاجتماعية، وتسهم في بناء التصورات المتعلقة بمكانة المرأة وأدوارها داخل المجتمع المحلي.

ويستند التحليل، أولاً، إلى التصور السوسيولوجي الذي قدمه إميل دوركايم للدين بوصفه ظاهرة اجتماعية تؤدي وظيفة تتجاوز البعد العقدي، إذ يسهم الدين في تعزيز التضامن الاجتماعي، وترسيخ القيم الجمعية، وإنتاج الشعور بالانتماء إلى الجماعة (دوركايم، 2003). ومن هذا المنظور، يمكن النظر إلى الحلقات الدينية النسائية باعتبارها جماعات اجتماعية تنتج هوية مشتركة

بين المشاركات، وتعزز الإحساس بالانتماء، وتوفر شبكات للدعم الاجتماعي، إلى جانب دورها في نقل المعرفة الدينية وترسيخ المنظومة الأخلاقية للمجتمع.

أما منظور ماكس ويبر، فيوفر مدخلاً لفهم العلاقة بين القيم الدينية والسلوك الاجتماعي، حيث لا يبقى التدين حالة وجدانية أو اعتقادية مجردة، وإنما يتحول إلى نمط ينظم الممارسات اليومية للأفراد، ويؤثر في أساليب التفكير والعمل والعلاقات الأسرية والاجتماعية (ويبر، 2002). ومن هذا المنطلق، لا يقتصر خطاب الحلقات الدينية على تفسير النصوص الدينية، بل يسهم في توجيه السلوك اليومي للنساء، من خلال إعادة تعريف مفاهيم الواجب، والطاعة، والعمل، والأمومة، والعلاقات الزوجية، بما يجعل التدين جزءاً من البناء الثقافي المنظم للحياة الاجتماعية.

ويحتل منظور بيار بورديو موقعاً محورياً في تفسير نتائج الدراسة، إذ تُفهم الحلقات الدينية بوصفها حقولاً اجتماعية مصغرة تتنافس داخلها أشكال متعددة من الرأسمال، ولا سيما الرأسمال الديني والرأسمال الرمزي (بورديو، 1998). وفي هذا الحقل، تستمد الشيخة مكانتها من الاعتراف الاجتماعي والديني الذي تحظى به، أكثر مما تستمدها من السلطة الرسمية، فتتحول إلى مرجعية معرفية وأخلاقية تؤثر في تشكيل مواقف النساء واتجاهاتهن. كما أن تكرار الخطاب الديني، وإعادة إنتاج مفاهيم مثل الطاعة، والصبر، والحياء، والحجاب، يؤدي إلى تشكل ما يسميه بورديو بـ"الهابيتوس"، أي منظومة من الاستعدادات الذهنية والسلوكية التي تبدو طبيعية للأفراد رغم أنها نتاج للتنشئة الاجتماعية.

ويرتبط بذلك مفهوم العنف الرمزي الذي يفسر استمرار بعض أنماط الهيمنة الاجتماعية دون الحاجة إلى وسائل الإكراه المباشر. فالسلطة، وفق بورديو، لا تمارس دائماً بالقوة، بل قد تعمل من خلال الإقناع والاعتراف وإضفاء الشرعية على منظومة القيم السائدة. ومن ثم، فإن تقديم الصبر أو الطاعة أو التضحية بوصفها فضائل دينية وأخلاقية قد يسهم في جعل بعض أشكال التفاوت الجندري مقبولة اجتماعياً، ليس لأنها مفروضة بالقوة، وإنما لأنها تُقدم باعتبارها خيارات أخلاقية مشروعة.

وتستفيد الدراسة كذلك من نظرية البطريركية كما طورتها سيلفيا والبي، والتي ترى أن الهيمنة الذكورية لا تُختزل في سلطة الرجل داخل الأسرة، وإنما تنتج عن تفاعل منظومات اجتماعية واقتصادية وثقافية ودينية تعيد إنتاج التراتب بين الجنسين بصورة مستمرة (Walby, 1990). وفي المجتمع المحلي المدروس، تتقاطع سلطة الأسرة، والعادات، والمرجعية الدينية، والرقابة الاجتماعية لتشكيل حدود حركة المرأة وأدوارها الاجتماعية، بما يجعل موقعها نتاجاً لمنظومة متكاملة من العلاقات والمعايير.

ومن منظور دراسات الجندر، تنطلق الدراسة من أن الأنوثة والذكورة ليستا معطيين بيولوجيين فحسب، بل بناءان اجتماعيان وثقافيان يتشكلان عبر عمليات التنشئة والخطاب والمؤسسات الاجتماعية (Connell, 1987). ولذلك، فإن الموضوعات المطروحة داخل الحلقات الدينية – مثل الحجاب، وطاعة الزوج، والتربية المختلفة للبنات والبنين، والأدوار الأسرية – لا تنقل معرفة دينية فقط، بل تشارك في بناء التمثلات الاجتماعية المتعلقة بالمرأة، وفي إعادة تعريف الأدوار المقبولة اجتماعياً لها.

وفي السياق ذاته، تؤكد ليلى أحمد أن فهم علاقة الدين بالمرأة في المجتمعات الإسلامية يقتضي التمييز بين النصوص الدينية من جهة، والتفسيرات الاجتماعية والثقافية التي تُنتج حولها من جهة أخرى، إذ تتداخل الممارسات الدينية مع الأعراف المحلية لتشكيل صور متعددة لمكانة المرأة وأدوارها الاجتماعية (Ahmed, 1992). ومن ثم، فإن تحليل الحلقات الدينية النسائية لا يستهدف تقييم الدين أو إصدار أحكام معيارية عليه، وإنما يسعى إلى فهم الكيفية التي يُعاد بها إنتاج الخطاب الديني داخل

السياق الاجتماعي المحلي، وكيف تتفاعل النصوص الدينية مع الثقافة والعلاقات الاجتماعية لإنتاج ممارسات وقيم تؤثر في حياة النساء اليومية.

وانطلاقاً من هذا الإطار النظري، تتعامل الدراسة مع الحلقات الدينية النسائية باعتبارها فضاءات اجتماعية مركبة تتداخل فيها المعرفة الدينية مع السلطة الرمزية، والفاعلية الاجتماعية، والعلاقات الجندرية، بما يسمح بفهم الدين بوصفه ممارسة اجتماعية وثقافية متجددة، أكثر من كونه منظومة عقدية مجردة.

5-المنهجية ومجال الدراسة

اعتمدت الدراسة مقاربة مختلطة تجمع بين الكم والكيف. وقد جاء هذا الاختيار من طبيعة الظاهرة نفسها؛ فالحلقات الدينية لا يمكن فهمها بالأرقام وحدها، لأنها تقوم على لغة، ورموز، وعلاقات ثقة، وسلطة معنوية، وتفاعلات مباشرة بين الشيخة والنساء. وفي الوقت نفسه، لا يمكن إغفال أهمية القياس الكمي في تحديد حجم الاتجاهات العامة لدى النساء والرجال، وفي تبيان مدى انتشار مواقف معينة أو تراجعها.

في الجانب الكمي، شملت الدراسة 250 امرأة من النساء المشاركات في الحلقات الدينية في حلبا وضواحيها، إضافة إلى 100 رجل من محيطهن العائلي والاجتماعي. وتم تصميم استمارتين: الأولى موجهة إلى النساء، وتناولت خصائصهن الاجتماعية، وأنماط حضورهن، ومضامين الحلقات، وأثرها في الالتزام الديني والعلاقات الاجتماعية والمشاركة المدنية. أما الثانية فوجهت إلى الرجال، وهدفت إلى فهم تمثلاتهم لمشاركة النساء، ولمكانة الشيخة، ولأدوار المرأة في الأسرة والمجتمع.

في الجانب النوعي، اعتمدت الدراسة على مقابلات معمقة مع عدد من الشيخات والنساء المشاركات، وعلى الملاحظة الميدانية داخل بعض الحلقات. سمح هذا الجانب بفهم اللغة المستخدمة في الدروس، وطبيعة العلاقة بين الشيخة والحاضرات، وطريقة بناء الهيبة والقبول، وكيفية التفاعل مع الأسئلة الحساسة المتعلقة بالحجاب والزواج والطاعة والعنف الأسري والجمعيات المدنية.

جغرافياً، تركزت الدراسة في حلبا وضواحيها ضمن منطقة عكار، مع حضور بلدات وقرى متعددة مثل حلبا، خريبة الجندي، السويسة، كوشا، ببنين، القنبر ومناطق أخرى. وتشير المعطيات إلى أن العينة النسائية ضمت تنوعاً في الانتماء السكني، مع تركز أكبر في حلبا بنسبة20.4%، وخريبة الجندي بنسبة13.2% ، والسويسة بنسبة 12.8% ويعكس هذا التنوع أهمية قراءة النتائج بوصفها تعبيراً عن حقل محلي متعدد لا عن قرية واحدة.

أما زمنياً، فقد امتد العمل الميداني منذ سنة 2023 ضمن مسار إعداد الأطروحة. وواجه البحث تحديات ميدانية مهمة، أبرزها حساسية الموضوع، ورفض بعض الشيخات السماح بحضور الجلسات أو تمرير الاستمارات، والخوف من اعتبار الأسئلة ذات طابع رقابي أو استخباراتي. وتكشف هذه الصعوبات نفسها عن طبيعة الحقل المدروس، حيث المعرفة الدينية ليست مادة مفتوحة بالكامل، بل مجال تحكمه الثقة والخصوصية والقلق من نظرة الخارج.

من حيث الخصائص الأساسية للعينة النسائية، بلغ متوسط عمر النساء 37.5 سنة، والوسيط 36 سنة، والمنوال 50 سنة، ما يدل على حضور فئات عمرية متنوعة مع تمركز في مرحلتي الرشد والمسؤولية الأسرية. كما أظهرت النتائج أن 68% من النساء متزوجات، و 28.8%عازبات، وأن 63.6% يشغلن موقع الأم داخل الأسرة .وهذا المعطى مهم لأن الأم ليست مشاركة فردية فقط، بل وسيط في التنشئة ونقل القيم إلى الأبناء.

أما عينة الرجال، فقد بلغ متوسط العمر فيها 39.13 سنة، وكان 83% من المشاركين متزوجين و 79%يعملون. وبذلك فإن مواقف الرجال الواردة في الدراسة لا تعبر عن فئة هامشية، بل عن رجال يحتلون مواقع أسرية واجتماعية مؤثرة، ويشاركون في تحديد حدود حركة النساء وشرعية حضورهن للحلقات.

6-النتائج الميدانية

تكشف المعطيات الميدانية أن الحلقات الدينية النسائية تؤدي وظائف متعددة ومتداخلة، فهي فضاء ديني لتلقي المعرفة والالتزام، وفضاء اجتماعي لبناء العلاقات، وفضاء رمزي تتشكل داخله سلطة الشيخة، وفضاء جندري يعيد التفاوض على موقع المرأة بين الطاعة والمشاركة. ويعرض هذا القسم أبرز النتائج وفق محاور مترابطة، مع إدراج جداول مختصرة منتقاة من المعطيات الأساسية.

جدول :1 مؤشرات وصفية مختصرة لعينة النساء

المؤشر	القيمة / النسبة	الدلالة السوسيولوجية
حجم العينة النسائية	250امرأة	عينة واسعة نسبياً تتيح قراءة اتجاهات المشاركات في الحلقات.
متوسط العمر	37.5سنة	حضور واضح لنساء في مرحلة المسؤولية الأسرية والاجتماعية.
الوضع العائلي	68%متزوجات، 28.8% عازبات	هيمنة الفئة المتزوجة تجعل أثر الحلقات مرتبطاً مباشرة بالحياة الأسرية.
الموقع في الأسرة	63.6%أمهات	الأم وسيط رئيسي في نقل القيم الدينية والجندرية داخل الأسرة.
أبرز مناطق السكن	حلبا20.4% ، خريبة الجندي 13.2%، السويسة12.8%	تعدد جغرافي داخل المجال العكاري المحلي.

أول ما يلفت في النتائج أن الدافع المادي ليس عاملاً مركزياً في حضور النساء للحلقات. فقد أفادت 93.6% من المبحوثات بأن وجود تعويض أو دعم مادي لا يدفعهن إلى المواظبة على الحضور. وتشير هذه النتيجة إلى أن الحضور يُفهم لدى النساء بوصفه فعلاً رمزياً وقيمياً لا نفعياً، أي أنه يرتبط بالبحث عن المعنى الديني، والانتماء، والراحة النفسية، والاعتراف الاجتماعي، أكثر مما يرتبط بعائد اقتصادي مباشر.

مع ذلك، لا يمكن فصل الحضور عن الشروط المادية والاجتماعية. فغياب أماكن مخصصة للأطفال لدى 77.6% من المبحوثات يكشف أن بنية الحلقات لا تراعي دائماً أعباء الرعاية التي تتحملها النساء. وهذا يعني أن مشاركة المرأة في الفضاء الديني نفسه تبقى مشروطة بقدرتها على التوفيق بين دورها كأم ودورها كمشاركة في نشاط ديني. ومن هنا يظهر البعد الجندري في تنظيم الفضاء الديني. فالمرأة مطالبة بالحضور والتعلم، لكنها لا تتحرر من عبء الرعاية أثناء ذلك.

كما أظهرت النتائج أن العمل يؤمن استقلالية للنساء لدى 53.6% من المبحوثات، بينما رأت 34.8% أن العمل لا يمنحهن استقلالية. وتدل هذه المعطيات على أن الدخل والعمل ليسا كافيين وحدهما لتفكيك التبعية، لأن الاستقلالية الاقتصادية قد تبقى محدودة بفعل السلطة الأسرية، ونظرة المجتمع، وتوزيع الأدوار داخل البيت. فالاستقلالية هنا ليست مجرد قدرة على الكسب، بل قدرة على اتخاذ القرار وتحويل الموارد إلى سلطة اجتماعية معترف بها.

تحتل هوية الشيخة موقعاً مركزياً في تفسير الحضور. فقد ربطت 85.2% من المشاركات حضورهن بالهوية الدينية للشيخة، مقابل 14.8% ربطته بالهوية المعرفية. وتكشف هذه النتيجة أن الثقة بالشيخة لا تقوم فقط على مضمون معرفي، بل على شرعية دينية ورمزية وشعور بالانتماء. فالشيخة لا تُستقبل كمعلمة فحسب، بل كمرجعية تحمل معنى أخلاقياً واجتماعياً، وهذا ما يمنح خطابها قوة إضافية داخل الحلقات وخارجها.

جدول :2 بعض شروط الحضور وسلطة الشيخة

المؤشر	نعم / النسبة الأعلى	قراءة تحليلية
العمل يؤمن للنساء استقلالية	53.6%نعم	العمل يعزز الاستقلالية لكنه لا يلغي القيود الأسرية والثقافية.
الدعم المادي يدفع إلى المواظبة	93.6%كلا	الحضور محكوم بدافع رمزي وديني لا بمنفعة مالية.
وجود أماكن للأطفال	77.6%كلا	أعباء الرعاية تبقى عائقاً بنيوياً أمام مشاركة الأمهات.
الحضور مرتبط بهوية الشيخة	85.2%الهوية الدينية	الشرعية الدينية للشيخة أهم من المعرفة المجردة في بناء الثقة.
توزع الهوية الدينية للشيخة	الجماعة الإسلامية34% ، الصوفية 25.9%، السلفية25%	تعدد المرجعيات داخل الحقل الديني النسائي المحلي.

6.1الحلقات بوصفها منتجة للالتزام الديني

أظهرت الدراسة أن الحلقات الدينية تؤثر بقوة في مستوى الالتزام الديني لدى النساء. فقد صرحت 93.2% من المبحوثات بأن الحلقات ساهمت في زيادة التزامهن الديني، مقابل 4.4% قلن إن التأثير كان إلى حد ما، و 2.4%نفين وجود هذا الأثر. وتدل هذه النسبة المرتفعة على أن الحلقة ليست مجرد لقاء اجتماعي، بل آلية فعالة لإعادة إنتاج التدين المعياري في الحياة اليومية.

من حيث نوعية الالتزام، كشفت المعطيات أن 57.8% من الإجابات ربطت أثر الحلقات بالالتزام الشامل بالفرائض الدينية، بينما ارتبطت 20.9% بالصلوات الخمس، و 5.3%بالزكاة، و 4.9%بزيادة النوافل، و 3.7%باللباس الشرعي. ويعني ذلك أن الحلقة لا تنتج معرفة نظرية فحسب، بل تحاول تحويل المعرفة إلى ممارسة: صلاة، صوم، زكاة، لباس، وسلوك يومي منضبط.

وتتضح طبيعة المضامين من جدول الموضوعات المطروحة في الحلقات. فقد تصدر تفسير الآيات القرآنية بنسبة28.4%، تلاه قصص الأنبياء وتفسير الأحاديث النبوية بنسبة16%، ثم تعلم الأركان والأحكام الإسلامية بنسبة9.6%، وأهمية حفظ القرآن بنسبة 8.4% أما قضايا الأسرة والمجتمع، وطاعة الزوج، والحجاب، فجاءت بنسب أقل، لكنها تحمل دلالة كبيرة لأنها تربط المعرفة الدينية بتنظيم الجسد والأسرة والعلاقات الجندرية.

يمكن قراءة هذه النتائج عبر مفهوم الرأسمال الديني، فالمشاركة في الحلقة تمنح النساء لغة شرعية ومعرفة معتبرة داخل الجماعة، وتزيد قدرتهن على التحدث باسم الدين داخل الأسرة. غير أن هذه المعرفة، في كثير من الأحيان، لا تتحول إلى وعي نقدي بحقوق النساء بقدر ما تتحول إلى التزام معياري يسعى إلى ضبط السلوك وإعادة ترتيبه وفق مرجعية دينية محافظة.

جدول :3 أثر الحلقات في الالتزام الديني ومضامينها

المؤشر	النسبة	المعنى
زيادة الالتزام الديني بفعل الحلقات	93.2%نعم	الحلقة آلية قوية للتنشئة الدينية المستمرة.
الالتزام الشامل بالفرائض	57.8%	تحويل المعرفة الدينية إلى ممارسة يومية متكاملة.
الصلوات الخمس	20.9%	تركيز واضح على الشعائر الأساسية.
تفسير الآيات القرآنية	28.4%	المضمون الأكثر حضوراً في الحلقات.
قصص الأنبياء وتفسير الأحاديث	16%	بناء نموذج أخلاقي وتربوي عبر السرد الديني.
طاعة الزوج	2%	نسبة محدودة كموضوع مستقل، لكنها تتفاعل مع مضامين أخرى حول الأسرة والطاعة.

6.2خطاب الجندر بين التصريح والضمنية

لا يظهر الخطاب الجندري داخل الحلقات دائماً بصورة مباشرة .فبعض الموضوعات لا تصرح بالتمييز بين المرأة والرجل، لكنها تساهم في إنتاجه عبر ربط المرأة بأدوار الطاعة والحشمة والرعاية. ولهذا تظهر النتائج في أكثر من جدول طابعاً مزدوجا"، تنفي نسبة من النساء وجود تمييز، بينما تؤكد نسب أخرى أن الحلقات تطرح مضامين تشدد على الفوارق الجندرية.

في مسألة التمييز في أساليب التربية بين الفتاة والولد، نفت 55.2% من المبحوثات وجود هذا التشديد، بينما رأت 30% أنه موجود، و 14.8%أنه موجود إلى حد ما. ويمكن تفسير هذا التباين بوجود عنف رمزي ناعم، فحين تكون التربية المختلفة بين البنت والصبي جزءاً من المتعارف عليه، قد لا تُرى بوصفها تمييزاً، بل بوصفها حماية أو أدباً أو شرعاً.

أما في موضوع تزويج الفتيات في سن مبكرة، فقد نفت 74.8% من النساء أن تشدد الحلقات على ذلك، في حين رأت 10.4% أن هذا التشديد موجود، و 14.8%أنه موجود إلى حد ما، ومع أن النتيجة لا تسمح بالقول إن الحلقات تروج صراحة للزواج المبكر، إلا أن منظومة الطاعة والحجاب والاستعداد المبكر للدور الأسري قد تخلق شروط قبول اجتماعي بزواج الفتاة في سن مبكرة دون الدعوة المباشرة إليه.

وتظهر الطاعة الزوجية بوصفها المؤشر الأكثر حسماً؛ إذ رأت 67.6% من المشاركات أن الموضوعات المطروحة في الحلقات تشدد على مفهوم طاعة المرأة لزوجها، بينما قالت 14% إن ذلك يحدث إلى حد ما، ونفت 18.4% وجود هذا الطرح، وتدل هذه النتيجة على أن الحلقات قد تعيد إنتاج مركزية السلطة الزوجية داخل الأسرة، وتمنحها غطاءً دينياً وأخلاقياً.

وفي المقابل، لا تتبنى كل الحلقات خطاباً اختزالياً لدور المرأة .ففي سؤال أولوية دور المرأة كأم وربة منزل فقط، نفت 59.6% من النساء هذا الطرح، بينما أقرته 28.4% و 12%إلى حد ما .ويشير هذا التباين إلى أن الحلقات ليست متجانسة؛ فبعض الشيخات قد يفتحن المجال أمام أدوار أوسع للنساء، بينما تبقى أخريات أقرب إلى التصور التقليدي للأسرة.

جدول :4 مؤشرات الخطاب الجندري داخل الحلقات

الموضوع	نعم	إلى حد ما / نوعاً ما	كلا
التمييز في أساليب التربية بين الفتاة والولد	30%	14.8%	55.2%
تزويج الفتيات في سن مبكرة	10.4%	14.8%	74.8%
طاعة المرأة لزوجها	67.6%	14%	18.4%
عدم المساواة والعدل بين الرجل والمرأة	32%	9.2%	58.8%
ضرورة حجاب الفتاة عند سن البلوغ	81.2%	6.8%	12%
أولوية دور المرأة كأم وربة منزل فقط	28.4%	12%	59.6%

6.3الحلقات والعلاقات الاجتماعية والمجال العام

تكشف النتائج أن الحلقات الدينية لا تعمل كفضاء تعبدي فقط، بل كفضاء اجتماعي يفتح أمام النساء إمكانات للتعارف والخروج من العزلة. فقد أفادت 73.6% من المشاركات بأن الذهاب إلى الحلقات يسمح لهن ببناء علاقات اجتماعية جديدة، وقالت 69.2%إنه يسمح بالتعرف إلى نساء من خارج المنطقة. وتدل هذه المؤشرات على أن الحلقات تنتج رأسمالاً اجتماعياً نسائياً، أي شبكة من الروابط والثقة والدعم المتبادل.

كما اعتبرت 52.8% من النساء أن الحلقات تمنحهن فرصة للخروج من المنزل. وتكتسب هذه النتيجة أهمية خاصة في مجتمع يضبط حركة النساء عبر الأسرة والسمعة والجوار. فالخروج إلى الحلقة يبدو مقبولاً لأنه خروج مبرر دينياً، ولذلك يستطيع أن يمنح المرأة مساحة حركة لا تمنحها أنشطة أخرى بسهولة .هنا يعمل الدين كغطاء شرعي للخروج، لكنه في الوقت نفسه يحدد حدوده.

أظهرت النتائج أيضاً أن 95.3% ممن رأت في الحلقات أثراً اجتماعياً اعتبرت أنها تعزز الدور الاجتماعي للمرأة، عبر التوعية على دورها الأسري والاجتماعي، والخروج من القوقعة، والتعرف إلى نساء جدد، ومعرفة الحقوق والواجبات .وهذا يعني أن النساء لا يقرأن الحلقات كضبط فقط، بل كمساحة اعتراف ومشاركة، حتى لو بقي هذا الاعتراف محكوماً بمرجعية دينية محافظة.

أما في العلاقة بالمجال المدني والسياسي، فتبدو النتائج أكثر تعقيداً. فقد أظهرت المعطيات أن 22.4% فقط رأين أن الحلقات لعبت دوراً كبيراً في التوعية والدعوة إلى مشاركة المرأة في الانتخابات، مقابل 28.4% رأين أنها ساهمت إلى حد ما، و 43.2% قلن إنها لم تشجع على مشاركة المرأة. وفي سؤال انتخاب المرأة، بلغت نسبة من رأين تشجيعاً كبيراً22% ، وإلى حد ما30% ، مقابل 42% قلن إن الحلقات لم تشجع على انتخاب المرأة.

هذه النتائج تشير إلى أن الحلقات قد تكون منصة للتوعية المدنية حين تتبنى الشيخة خطاباً منفتحاً، لكنها قد تتحول إلى مجال تحفظ حين تُقرأ الجمعيات المدنية أو المشاركة العامة بوصفها تهديداً للقيم الدينية. ومن ثم فإن العلاقة بين الدين والمجال المدني ليست عدائية بالضرورة، لكنها ليست تكاملية تلقائياً، إنها تتوقف على التأويل، وعلى هوية الشيخة، وعلى درجة الثقة بالمؤسسات المدنية.

جدول :5 الحلقات بوصفها فضاءً اجتماعياً ومدنياً

المؤشر	النسبة / الاتجاه	الدلالة
بناء علاقات اجتماعية جديدة	73.6%نعم	الحلقات تنتج شبكات نسائية ورأسمالاً اجتماعياً.
التعرف إلى نساء من خارج المنطقة	69.2%نعم	توسيع المجال المحلي للمرأة خارج الجوار الضيق.
فرصة للخروج من المنزل	52.8%نعم	الخروج يصبح مشروعاً حين يكتسب شرعية دينية.
تعزيز الدور الاجتماعي للمرأة	95.3%من الإجابات الموافقة	الحلقات تمنح النساء إحساساً بالحضور الاجتماعي.
التوعية بالمشاركة في الانتخابات	22.4%بشكل كبير، 28.4% إلى حد ما	أثر مدني محدود ومتفاوت.
التوعية بانتخاب المرأة	22%بشكل كبير، 30% إلى حد ما	إمكان سياسي مشروط بمضمون الخطاب الديني.

6.4تمثلات الرجال وموقع المرأة في الأسرة

تعكس عينة الرجال استمرار حضور بنية أبوية قوية في التصورات الاجتماعية، فقد اعتبر 57% من الرجال أن المرأة أو الفتاة تمثل شرف العائلة، و 39%قالوا إن ذلك صحيح إلى حد ما، مقابل 4% فقط رفضوا الفكرة، واللافت أن هذه الفكرة لا تختفي بارتفاع المستوى التعليمي، إذ تظهر بدرجات متفاوتة لدى مختلف الفئات، ما يدل على أن التعليم لا يفكك بالضرورة الرابط الرمزي بين جسد المرأة وسمعة الأسرة.

في موضوع السن المناسب لزواج الفتاة، رأى معظم الرجال أن الفئة المناسبة تقع بين 18 و 22سنة بنسبة68.9% ، بينما رأى 28.4%أن السن المناسب يقع بين 23 و 27سنة، و 2.7%فقط قبلوا سن 16 وما دون .وتدل هذه النتيجة على وجود تحول نسبي مقارنة بالزواج المبكر جداً، لكنها تبقي الزواج في سن مبكرة نسبياً ضمن الأفق الاجتماعي المفضل.

أما من حيث الهدف من حضور المرأة للحلقات، فتظهر في مواقف الرجال فكرة مزدوجة، من جهة ينظر إلى الحلقات بوصفها وسيلة لتعميق فهم الدين، ومن جهة أخرى بوصفها وسيلة لتوعية المرأة على مهامها الأسرية التي أوصى بها الدين. وبذلك لا تكون المعرفة الدينية حيادية في نظر الرجال، بل ترتبط غالباً بتنظيم الدور الأسري والزوجي.

تؤكد مواقف الرجال أهمية هوية الشيخة أيضاً. فاختيار الحلقات يرتبط بالهوية الدينية والعلمية للشيخة، وتظهر الحلقات في نظر كثير من الرجال أداة لتقوية الروابط العائلية والزيارات الاجتماعية، إذ رأى 86% أن موضوعات الحلقات تساهم في تقوية الروابط والزيارات. غير أن هذا الاعتراف الاجتماعي لا يعني بالضرورة دعماً كاملاً لاستقلالية النساء، بل قد يكون دعماً لحضور ديني مقبول ضمن شروط الأسرة والجماعة.

جدول :6 مؤشرات من عينة الرجال

المؤشر	النتيجة	قراءة مختصرة
حجم عينة الرجال	100رجل	تمثيل لمحيط النساء العائلي والاجتماعي.
المتزوجون	83%	غلبة رجال في مواقع أسرية مؤثرة.
المرأة / الفتاة شرف العائلة	57%نعم، 39% إلى حد ما	استمرار الرابط بين جسد المرأة ورمزية الشرف.
السن المناسب لزواج الفتاة	18–22 :68.9%سنة	تحول محدود عن الزواج المبكر جداً مع استمرار سن زواج منخفض نسبياً.
الحلقات تقوي الروابط والزيارات	86%نعم	اعتراف بدورها الاجتماعي والأسري.
الحلقات تحث على انتخاب امرأة	34%نعم، 30% إلى حد ما، 36% كلا	تباين واضح في أثرها السياسي.

6.5العنف الأسري وخطاب الصبر

يمثل موضوع العنف ضد المرأة اختباراً مركزياً لطبيعة الخطاب الديني داخل الحلقات .فقد أظهرت النتائج أن الحل الأكثر حضوراً عند طرح تعرض المرأة للعنف من زوجها كان" التحلي بالصبر "بنسبة44.4% ، يليه" التحمل والتضحية "بنسبة24.4% ، بينما بلغت نسبة" طلب الطلاق20.4% "، ولم يتم التطرق إلى الموضوع لدى 10.8% من المبحوثات.

تكشف هذه النتائج عن نزعة محافظة في معالجة العنف الأسري، حيث تتقدم قيمة الحفاظ على الأسرة والصبر على الحلول القانونية أو الحمائية .ولا يعني ذلك أن كل الحلقات تبرر العنف، لكنه يشير إلى أن اللغة السائدة قد تعيد تعريف العنف باعتباره ابتلاءً أو اختباراً للصبر، بدلاً من اعتباره مشكلة اجتماعية وقانونية تحتاج إلى حماية وتدخل.

من منظور العنف الرمزي، تصبح الدعوة إلى الصبر في حالات العنف وسيلة لإعادة إنتاج الصمت، خاصة حين تُقدم بوصفها فضيلة دينية مطلقة .وهنا تظهر الحاجة إلى تدريب الشيخات على التمييز بين الصبر كقيمة روحية وبين الصمت على الأذى كخطر اجتماعي .فحماية الأسرة لا تتحقق بإبقاء المرأة داخل دائرة الخطر، بل بإعادة تعريف الكرامة والحماية والعدالة بوصفها قيماً دينية واجتماعية معاً.

في المقابل، تشير نتائج جدول الإضافات التي أحدثتها الحلقات في أسلوب الحياة إلى آثار نفسية وروحية إيجابية :التحلي بالإيمان والصبر14% ، الراحة النفسية والتغير للأفضل13.6% ، فهم الدين بطريقة صحيحة والتعمق به13.6% ، والمعرفة والالتزام بالدين .13.2% هذه المؤشرات تظهر أن النساء يجدن في الحلقات معنى وطمأنينة، لكنها تكشف أيضاً أن الأثر العملي في مواجهة الأزمات يبقى محدوداً إذا لم يترافق مع توعية قانونية ونفسية واجتماعية.

جدول :7 معالجة العنف الأسري وأثر الحلقات في أسلوب الحياة

المؤشر	النسبة	الدلالة
التحلي بالصبر عند تعرض المرأة للعنف	44.4%	الخطاب يميل إلى الحلول الأخلاقية المحافظة.
التحمل والتضحية	24.4%	أولوية استمرار الأسرة على سلامة المرأة في بعض التصورات.
طلب الطلاق	20.4%	حضور محدود للحل الانفصالي أو الحمائي.
لم نتطرق للموضوع	10.8%	غياب معالجة صريحة لدى جزء من الحلقات.
التحلي بالإيمان والصبر كأثر للحلقات	14%	أثر روحي ونفسي واضح.
الراحة النفسية وفهم الدين	13.6%لكل منهما	الحلقات تمنح معنى وطمأنينة، لكنها تحتاج أدوات عملية للحماية.

7- المناقشة

تكشف نتائج الدراسة أن الحلقات الدينية النسائية تمثل حقلاً اجتماعياً متعدد الوظائف، إذ لا تقتصر أدوارها على تعليم النساء المعارف الدينية، وإنما تؤدي في الوقت ذاته وظائف اجتماعية وثقافية ورمزية متداخلة. فهي تتيح للمشاركات فرصاً للتعلم والتفاعل الاجتماعي وبناء شبكات الدعم، كما تسهم في إعادة إنتاج منظومة القيم التي تحدد مكانة المرأة وأدوارها داخل الأسرة والمجتمع. وتشير هذه النتيجة إلى أن الحلقات الدينية ينبغي أن تُفهم بوصفها مؤسسات اجتماعية غير رسمية تمارس أدواراً تربوية وثقافية تتجاوز وظيفتها التعليمية المباشرة.

ومن منظور دوركايم، تؤكد النتائج الوظيفة التضامنية للدين، حيث أسهمت الحلقات في تعزيز شعور النساء بالانتماء إلى جماعة تشترك في منظومة قيم وهوية دينية واحدة، وهو ما انعكس في ارتفاع مؤشرات بناء العلاقات الاجتماعية، والتعرف إلى نساء من خارج البيئة المباشرة، والنظر إلى الحلقات بوصفها مساحة للقاء والدعم النفسي والاجتماعي، وليس مجرد مناسبة لتلقي المعرفة الدينية (دوركايم، 2003). وتنسجم هذه النتيجة مع تصور دوركايم للدين باعتباره مؤسسة تُنتج التضامن الاجتماعي وتحافظ على تماسك الجماعة من خلال إعادة إنتاج القيم المشتركة.

غير أن هذا البعد التضامني لا ينفي وجود وظيفة تنظيمية وضبطية للحلقات. فقد أظهرت النتائج أن الخطاب الديني المتكرر حول مفاهيم الطاعة، والصبر، والحجاب، والأدوار الأسرية، يسهم في ترسيخ معايير اجتماعية تحدد صورة المرأة المقبولة داخل المجتمع المحلي. ومن ثم، فإن التضامن الاجتماعي الذي تنتجه الحلقات يترافق مع إعادة إنتاج مجموعة من الضوابط الثقافية التي تحدد حدود الحركة والفاعلية الاجتماعية للنساء، وهو ما يعكس الطبيعة المزدوجة للمؤسسات الدينية غير الرسمية.

وتدعم نتائج الدراسة بصورة واضحة تفسير بيار بورديو لمفهومي الحقل والرأسمال الرمزي، إذ تبين أن سلطة الشيخة لا تستند إلى سلطة رسمية أو مؤسسية، وإنما إلى الشرعية الاجتماعية والدينية التي يمنحها لها المجتمع المحلي. وتوضح النتائج أن النساء لا يلتزمن بخطاب الشيخة بسبب امتلاكها المعرفة الدينية فقط، بل بسبب ما تتمتع به من مكانة رمزية تجعل خطابها مقبولاً ومؤثراً داخل الأسرة والمجتمع. ومع استمرار المشاركة في الحلقات، يتحول هذا الخطاب إلى جزء من الهابيتوس الاجتماعي الذي يعيد إنتاج أنماط التفكير والسلوك المتعلقة بالأدوار الجندرية، والطاعة، والعلاقات الأسرية (بورديو، 1998).

كما تشير النتائج إلى أن قبول الرجال بحضور النساء للحلقات الدينية يعزز استمرار هذا الشكل من السلطة الرمزية. فالرجال ينظرون إلى هذه الحلقات بوصفها امتداداً لمنظومة القيم الأسرية والدينية، وليس باعتبارها فضاءات تهدد النظام الاجتماعي القائم. ويفسر ذلك ارتفاع نسبة القبول الاجتماعي للحلقات، مقابل محدودية القبول بمشاركة النساء في المجالات العامة أو السياسية، الأمر الذي يكشف أن مساحة الحركة التي تمنحها الحلقات للمرأة تبقى مشروطة بعدم تجاوز الحدود التي يفرضها النظام الأبوي السائد.

وتبرز هذه النتيجة بصورة أوضح عند تحليل العلاقة بين الحلقات الدينية والمشاركة المدنية، إذ أظهرت البيانات أن بناء رأس المال الاجتماعي لا يقود بالضرورة إلى بناء رأس مال سياسي أو مدني. فعلى الرغم من نجاح الحلقات في توسيع شبكات العلاقات الاجتماعية للنساء وتعزيز شعورهن بالانتماء، فإن تأثيرها في تشجيع المشاركة السياسية أو المدنية ظل محدوداً. ويمكن تفسير ذلك بأن الخطاب الديني داخل الحلقات يركز بدرجة أكبر على إصلاح الفرد والأسرة، أكثر من تركيزه على قضايا المواطنة،

والحقوق، والمشاركة المجتمعية، وهو ما يجعل الانتقال من المجال الديني إلى المجال المدني انتقالاً غير تلقائي، بل يحتاج إلى خطاب ديني يربط بين الإيمان والعدالة والحقوق والمسؤولية المجتمعية.

ومن منظور دراسات الجندر، تكشف النتائج أن الحلقات الدينية تسهم في إعادة تشكيل تمثلات النساء عن أدوارهن الاجتماعية. فهي تمنح النساء فرصاً للتعلم والتفاعل واكتساب الثقة بالنفس، لكنها في الوقت نفسه تعزز بعض التصورات التقليدية المتعلقة بالأمومة، والطاعة الزوجية، والأدوار الأسرية، وهو ما ينسجم مع ما طرحته كل من Connell (1987) و Walby (1990) بشأن استمرار إعادة إنتاج البنى الجندرية من خلال المؤسسات الاجتماعية والثقافية، حتى عندما تبدو هذه المؤسسات داعمة للمرأة.

وفي السياق نفسه، تؤكد النتائج ما أشارت إليه ليلى أحمد (Ahmed, 1992) من أن العلاقة بين الدين ومكانة المرأة لا تُفسر من خلال النصوص الدينية وحدها، وإنما من خلال الكيفية التي تُعاد بها قراءة هذه النصوص داخل السياقات الثقافية والاجتماعية المختلفة. فقد بينت الدراسة أن كثيراً من القيم المطروحة داخل الحلقات تعكس تداخلاً بين المرجعية الدينية والأعراف الاجتماعية المحلية، الأمر الذي يجعل الفصل بين ما هو ديني وما هو ثقافي أمراً بالغ الصعوبة.

وتشير النتائج أيضاً إلى أن معالجة بعض القضايا الحساسة، وعلى رأسها العنف الأسري، ظلت محكومة بخطاب أخلاقي يركز على الصبر والتضحية أكثر من تركيزه على الحماية القانونية أو الدعم النفسي والاجتماعي. ويعكس ذلك استمرار هيمنة منطق الواجبات على حساب الحقوق داخل الخطاب المقدم في بعض الحلقات، وهو ما يبرز الحاجة إلى تطوير مضامين أكثر اتساعاً تراعي الأبعاد القانونية والاجتماعية والصحية إلى جانب البعد الديني.

ورغم ذلك، لا تسمح النتائج بالنظر إلى النساء المشاركات بوصفهن متلقيات سلبيات للخطاب الديني، إذ أظهرت المعطيات أنهن يوظفن الحلقات أيضاً لبناء علاقات اجتماعية، واكتساب المعرفة، وتوسيع شبكات الدعم، والخروج من العزلة المنزلية، والتفاوض مع الواقع الاجتماعي المحيط بهن. ومن ثم، فإن فاعلية النساء لا تختفي داخل هذه الفضاءات، وإنما تمارس ضمن حدود تفرضها البنية الثقافية والاجتماعية السائدة، وهو ما يجعل الحلقات فضاءات للتفاوض أكثر منها فضاءات للخضوع أو للتحرر المطلق.

وبناءً على ذلك، ترى الدراسة أن القيمة العلمية للحلقات الدينية النسائية تكمن في كونها تكشف تعقيد العلاقة بين الدين والجندر داخل المجتمع المحلي، إذ لا يمكن اختزالها في ثنائية التمكين أو الإخضاع، ولا في ثنائية التحرر أو السيطرة، وإنما ينبغي فهمها باعتبارها حقولاً اجتماعية تتفاعل فيها السلطة الرمزية، والفاعلية الاجتماعية، والقيم الثقافية، والبنى الأبوية بصورة مستمرة، بما يجعلها تعكس التوتر القائم بين الحاجة إلى الانتماء والهوية من جهة، ومتطلبات المساواة والفاعلية الاجتماعية للمرأة من جهة أخرى.

8-**الخاتمة**

خلصت الدراسة إلى أن الحلقات الدينية النسائية في حلبا – عكار تمثل مؤسسة اجتماعية غير رسمية ذات تأثير ملموس في حياة النساء. فهي تسهم في رفع الالتزام الديني، وفي تكوين شبكات اجتماعية، وفي منح النساء شعوراً بالانتماء والراحة النفسية. لكنها في الوقت نفسه تعيد إنتاج بعض القيم التقليدية المرتبطة بالطاعة الزوجية والصبر والتضحية والأدوار الأسرية، ولا تقود دائماً إلى توسيع المشاركة المدنية أو السياسية.

تؤكد النتائج أن موقع الشيخة حاسم في توجيه أثر الحلقات. فالشيخة تمتلك سلطة رمزية مستمدة من هويتها الدينية، ومعرفتها، وانتمائها المحلي، وثقة النساء والرجال بها. وكلما كان خطابها أكثر انفتاحاً على قضايا الحقوق والحماية والمشاركة، أمكن للحلقة أن تتحول إلى فضاء تمكين حقيقي. وكلما بقي الخطاب محصوراً في الطاعة والصبر والحشمة، تحولت الحلقة إلى آلية لإعادة إنتاج النظام الجندري التقليدي.

كما تبين الدراسة أن التغيير داخل المجتمعات المحافظة لا يمكن أن يتحقق عبر رفض الدين أو تجاهل مركزيته في الحياة اليومية. فالنساء أنفسهن يجدن في الدين معنى وقوة وسنداً. لذلك فإن الطريق الأكثر فعالية هو العمل من داخل السياق الديني والثقافي، عبر تأويلات أكثر عدلاً، وبرامج تدريب للشيخات، وربط الخطاب الديني بالحماية والكرامة والحقوق، لا بالواجبات فقط.

إن الحلقات الدينية ليست نهاية السؤال، بل بدايته .فهي تكشف أن النساء في عكار يتفاوضن يومياً مع الأسرة والمجتمع والدين، وأنهن يبحثن عن مساحة حضور داخل بنى لا تزال تقيدهن. ومن هنا فإن فهم هذه الحلقات يساعد على فهم أوسع لعلاقة الدين بالجندر في المجتمعات العربية المحافظة، ويفتح الباب أمام مقاربات إصلاحية تراعي الخصوصية المحلية دون أن تتنازل عن كرامة المرأة وحقها في الأمان والمشاركة.

9-التوصيات

أولاً، توصي الدراسة بتطوير برامج تدريبية للشيخات تجمع بين المعرفة الدينية والوعي الاجتماعي والنفسي والقانوني، ولا سيما في قضايا العنف الأسري، وحقوق النساء، والصحة النفسية، وحل النزاعات داخل الأسرة. فالمطلوب ليس تقليص دور الشيخات، بل تعزيز قدرتهن على تقديم خطاب يحمي النساء ويمنحهن أدوات عملية إلى جانب الوعظ الأخلاقي.

ثانياً، من الضروري إدراج موضوعات جديدة داخل الحلقات، مثل الوعي القانوني، والحماية من العنف، والعمل والتعليم، والمشاركة المدنية، والصحة الإنجابية، والتمييز بين النص الديني والعرف المحلي. فالكثير من القيود التي تُنسب إلى الدين هي في الواقع أعراف اجتماعية قابلة للمراجعة والتأويل.

ثالثاً، توصي الدراسة ببناء جسور بين الحلقات الدينية والجمعيات المدنية والبلديات والمراكز الاجتماعية، شرط أن يتم ذلك بلغة تحترم الخصوصية الدينية ولا تقدم حقوق النساء بوصفها تهديداً للقيم. إن التعاون بين المجالين الديني والمدني يمكن أن يحول الحلقة من فضاء تحفظ إلى منصة حماية وتوعية.

رابعاً، ينبغي إنشاء آليات إحالة سرية وآمنة للنساء المعنفات أو المحتاجات إلى دعم قانوني أو نفسي، بحيث تتمكن الشيخة من توجيه المرأة إلى الجهة المناسبة عند الضرورة .فالحلقة قد تكون أول مكان تبوح فيه المرأة بمعاناتها، ومن الخطير أن يبقى الجواب الوحيد المتاح لها هو الصبر.

خامساً، من المهم دعم التمكين الاقتصادي للنساء في المناطق المهمشة، لأن الاستقلالية الاقتصادية تعزز قدرة المرأة على اتخاذ القرار، لكنها تحتاج إلى حماية اجتماعية وثقافية حتى تتحول إلى استقلال فعلي .ويجب أن تترافق برامج العمل مع توعية أسرية تشمل الرجال أيضاً.

سادساً، تدعو الدراسة إلى إجراء بحوث مقارنة بين الحلقات الدينية في عكار ومناطق لبنانية وعربية أخرى، وإلى دراسة التدين النسائي الرقمي بعد توسع دور وسائل التواصل الاجتماعي، وإلى تحليل العلاقة بين التعليم العالي وإعادة تفسير النصوص المرتبطة بالمرأة .فهذه الظاهرة متحركة، ولا يمكن الإحاطة بها من دراسة واحدة فقط.

10–حدود الدراسة وآفاق البحث

تتمثل حدود الدراسة في كونها تركز على منطقة حلبا وضواحيها وعلى النساء السنيات المشاركات في الحلقات الدينية، ولذلك لا يمكن تعميم نتائجها آلياً على كل النساء في لبنان أو على كل البيئات الدينية. كما أن حساسية المجال أدت إلى صعوبات في الوصول إلى بعض الحلقات والشيخات، الأمر الذي قد يجعل بعض التيارات أقل تمثيلاً في المادة النوعية.

رغم هذه الحدود، تفتح الدراسة آفاقاً بحثية متعددة .يمكن مستقبلاً مقارنة الحلقات بين مناطق مختلفة، أو دراسة أثر المستوى التعليمي للنساء في استقبال الخطاب الديني، أو تحليل خطاب الشيخات أنفسهن عبر تسجيلات ودروس مكتوبة، أو تتبع النساء زمنياً لمعرفة ما إذا كان الحضور المستمر يوسع وعيهن النقدي أم يعمق التزامهن بالمنظومة التقليدية.

كما يمكن تخصيص بحوث مستقلة لموضوع العنف الأسري في الخطاب الديني النسائي، ولموضوع المشاركة السياسية للنساء المتدينات، وللعلاقة بين الحلقات الدينية والجمعيات المدنية في ظل الأزمات الاقتصادية اللبنانية. ومن المهم كذلك دراسة انتقال الحلقات إلى الفضاء الرقمي، حيث تتشكل سلطة دينية نسائية جديدة لا تقوم فقط على القرابة والجوار، بل على الحضور الإلكتروني وعدد المتابعات والثقة العابرة للمناطق.

المراجع العربية

أبو غزالة .(2010) .*إدماج النوع الاجتماعي في الخطط والسياسات الوطنية* .المجلس الوطني لشؤون الأسرة.

أنجرس، موريس .(2006) .*منهجية البحث العلمي في العلوم الاجتماعية والإنسانية* .دار القصبة.

بورديو، بيار .(1998) .*الهيمنة الذكورية* .ترجمة عربية. بيروت.

دويري، رجاء .(2000) .*البحث العلمي: أساسياته النظرية وممارساته العلمية* .دار الفكر المعاصر.

دوركايم، إميل .(2011) .*الانتحار* (ترجمة حسن عودة). وزارة الثقافة والهيئة العامة السورية للكتاب.

غيدنز، أنتوني .(2005) .*علم الاجتماع* (ترجمة فايز الصياغ). مركز دراسات الوحدة العربية.

عيتاني، حبيبة .(2026) .*تأثير الدين على مكانة وتنظيم حياة النساء الاجتماعية: دراسة ميدانية حول الحلقات الدينية وتجربة النساء السنيات في منطقة حلبا–عكار* (أطروحة دكتوراه غير منشورة). جامعة القديس يوسف.

معتوق، فردريك .(1993) .*معجم العلوم الاجتماعية* .أكاديميا.

ويبر، ماكس .(2002) .*الأخلاق البروتستانتية وروح الرأسمالية* .ترجمة عربية. بيروت.

المراجع الأجنبية

Ahmed, L. (1992). *Women and Gender in Islam: Historical Roots of a Modern Debate*. Yale University Press.

Bourdieu, P. (1998). *La domination masculine*. Éditions du Seuil.

Connell, R. W. (1987). *Gender and Power: Society, the Person and Sexual Politics*. Polity Press.

Durkheim, É. (2003). *Les formes élémentaires de la vie religieuse*. Presses Universitaires de France.

Foucault, M. (1980). *Power/Knowledge: Selected Interviews and Other Writings, 1972–1977*. Pantheon Books.

Walby, S. (1990). *Theorizing Patriarchy*. Basil Blackwell.